ولم يلتحق بالسلك السياسي ولم يغرف من كواير الذهب التي املته بها .

وانتقلت علاقتنا الى مرحلة اخرى واحب الواحد منا الاخر وظل شبح توفيق يلاحقنا : اراه في عينيك كلما جلست لحظة تفكرين ساهمة، اراه منتصبا بيننا كلما سرنا معا ويدك في يدي . كان يخال الي انك تقيسينني بمقاييسه وتهمسين في سرك : لينه يحرق يده ، ليته يبكي كتوفيق ، اذن لاحببته اكثر . ان ماسمعه منك عنه جعلني اشفق على كل توفيق واحقر كل توفيق واحطم اي جزء في يشبه توفيقك هذا.

لم اسمح لك بعد ذلك ان تذكري اسمه ، لا حسدا ولا غيرة ، فالاضام التي اعجبت بها رحت احطمها . واتهمتني اذ ذاك اني اغار حتى من اسمه وخياله . لا ياعزيزتي ، احببت ان تفهمي للحب معانيه الصحيحة وان تتخلي عن مفاهيمك البالية . مرات كثيرة قلت لك : « يا انستي ، لم يبخل توفيق بشيء ، اعطى وضحى ونحر وذبح وانسحق ، وانت ماذا فعلت من اجله ؟ اعطى فاخذت ، وهذه كل الصفقة : عطاء من جانب واخذ من جانب اخر . » لا ، الحب عطاء ، الحب تضحية ، ولكن من المحبين كليهما ، اما النحر والذبح والانسحاق ، فتعابير غير واردة في الحب لانها تعني العبودية والذل ، ليت الذين يعبدون الله يرتفعون عن مستوى العبودية والذل وعند ذاك يستطيعون ان يحبوه كما ينبغي ان كان ذلك مايريده .

عزيزتي ، سانهي رسالتي بعد قليل ، ولكن خذيها نصيحة لوجه الله : مازلت في عمر الورود ، فقلعي عنك الاشواك بل انزعيها ، انت جميلة ومثقفة وذكية ، كل هذا على الرأس ، ولكن يجب ان تفهمي ان الحب الحقيقي ليس الذي تعرفينه . انه اسمى من ذلك ، ان اعجبك اسلوب يهوه في الحب فاعلمي ان يهوه ماحب ابراهيم الخليل : كن سيدا وطاغية . خلقه ابراهيم وامثاله من الانبياء المحرفين على صورتهم ومثالهم .

ستنتهي علاقتنا هنا ، لا تكلفي نفسك الاجابة على هذه الرسالة . يوم افترقنا منذ شهر سالتني ان كنت ساكتب لك . قلت نعم ساكتب رسالة اولى وتجيبيني عليها . قلت « لا ، اكتب لي ثلاث رسائل قبل ان اجيبك » . وثرت في وجهك وصحت اني لااستجدي الحب استجداء . من انت حتى تظني اني توفيق اخر ..

ولهذا ومع هذا كتبت لك هذه الرسالة ، لا اريد جوابا عليها ، صدقي كل كلمة قلتها لك ، احببتك وكنت صادقا في اعلان حبي . غير اني اردت ان تتخلي عن كبرياء قاتلة ، عن انانية شريرة ، عن غرور مجنون. اردت ان تخنقي نارسيسوس ـ ذلك الاله الصغير الطائش الذي كان في اعماقك ـ معجبة انت بنفسك كما كان نارسيسوس معجبا بنفسه ودانخا بجماله ، حتى داخ بالفعل من التطلع الى صفحة الماء التي تعكس صورته ووقع في النهر ومات .

وصدقيني ايضا ان قلت لك انك لن تجدي توفيقا يناسب مقاييسك. افضل من هذا ان تغيريها ، ان تتعلمي كيف يحب الناس العاديون البسطاء بلا تعب ولا مشاحنات ولا قيود ولا ذبائح ، توفيق ، حبك الاول ... والاخير ، في مكان ما في بلاده الان يفتش عن فتاة عادية تحبه ويحبها دون ان يكون الحب لهما مصدر شقاء .

فاعتبري اذن ان توفيق مات بالنسبة اليك ، عندما تستلمين رسالتي هذه يكون توفيق قد مات مرة ثانية ، نعم مات مرتين ليحيا في غير هيكلك قد لاتسمح لك كبرياؤك ان تعترفي بالخطأ ، ولكنك ستفهمين يوما ،عندما يجيئك الخريف ويكتنفك الفراغ ويذوي الجمال ، ستفهمين من كان مسؤولا عن موت توفيق في المرة الاولى والثانية . وعند ذاك ستندمين. وعند ذاك ، ان مر احد بطريقك ستقبلين به كجائزة ترضية ، وستكونين ـ ياعزيزتي ـ كاله فاشل . فلا هو في السماء ولا في الارض .

اعذريني فهيكلك بارد ومليء بالفراغ ، ساترك فيه المباخر والمجامر والشموع لمن يحسن استعمالها بعدي . امامي رحلة اخرى ساقوم بها قبل ان تغيب الشمس .

نبيه غطاس

فهرس بالظهر

لقد ذوت كل الشفاه الطيبه
وروضنا ..
لم تبق فيه شفة لم تعتصرها التجربة
لم تبق فيه زهرة لم تفوها نحله
ولم تذب في رعشة القبله ..

* *

فما تكاد زهرة ان تولدا ..
غارقة بالدفء .. والنقاء .. والندى ،
حتى تمد للهوى يدا ،
وان تمادت .. تعتصرها التجربة .

* *

كل الشفاه هكذا ..
بلا ندى .. بلا شذى ،
لانها تفضل الندم :.
والدمعة السوداء في النهايه
على الصمود في عواصف الغوايه ..

* *

سدى .. سدى ..
نبحث عن واحدة بريئه
لم تعرف الخطيئه ..
فقد مضى ..
ـ يا رحمة ـ
عهد الشفاه الطيبه
وضاع في دوامة التحرر !..
والعصر .. والتطور ..
ولن تعيش عندنا
الا الشفاه المرة المجربة !

فايز صياغ